قراءة بعض الكتابات الشرقية وتفسيرها

للاب س. رتزقال اليسوعي (تابع لما سبق ص ٥١٤ – ٥٢٢) (*)

الكتابة العربية العاشرة

(عرضها ٨ سنتيمترات. طالع ما افتتحنا به الكتابة التاسعة)

قد افرغنا كفاءة الجهد في فكّ ما تتضمنهُ هذه الكتابة من المشاكل المختلفة. ولو لم تأتِ مساعينا بكمال المرام فالمأمول ان تفسيرنا يقع لدى قرائنا الافاضل موقع القبول. اعلم اولًا انَّ هذا الأثر ليس الّا بقيَّة من إناء خزفيّ غليظ الصنع. وثانيًا انَّ شكلهُ لم يكن اصلًا كما هو في الصورة المرسومة وان أطراف الدائرة حُطِّمت حديثًا والظنون عندنا انَّ الصفحة التي طُبعت عليها الكتابة كانت اوسع ممَّا هي عليهِ وانها قسم من قعر جرَّة. وممَّا يُثبت صحَّة ظنّنا مضمون الكتابة كما سترى ولذا نقول سلفًا ان الرسم المطبوع على هذه القطعة انَّما هو علامة معمل (marque de fabrique) وضعها الصانع حسب عادة قدماء الفخَّارين من العرب وغيرهم. وعلى كل حال فالمرجو من القارئ الاديب ان يراجع ملِيًّا صورتها الشمسيَّة وهي غاية في الاتقان قد تفنَّن في اخذها مصوِّر مطبعتنا فاظهر جميع خواصها لاسيما نتوّ الحروف على احسن منوال واجلاهُ

فلنبتدئ بما هو سهل القراءة وهو بلا مراء السطر الثالث وقسم من الرابع فكل من لهُ المام بالقلم المعروف بالكوفي يقرأ دون كلف ما معناهُ « لحكيم ابن سليمان » ثمَّ اذا اعتبرت ان الكلمة الاخيرة من السطر الثاني لا تقبل الّا قراءتين اي « عقل » او « عمل » (١ فلا شك انك تختار الوجه الثاني وهو تعبير شائع لدى صنَّاع الاواني الخزفيَّة والزجاجيَّة والصينيَّة للدلالة على مصدر مصنوعهم. (طالع مثلًا ما ورد في تأليف الدكتور فوكاه الصادر هذه السنة تحت العنوان التالي: *Contribution à*)

---

١) اعلم ان ما يتبع اللام في كلمة « عقل » او « عمل » ليس الّا الالف التي تخصّ لفظة « الحكيم » المارّ ذكرها. ولا اخال احدًا يميل الى تعضيل كلمة « عقل » التي لا معنى لها في هذا الاثر

l'étude de la céramique orientale (١ . وكثيرًا ما يُستعمل بدلًا من « عمل » فعل « صنع » او اسمهُ « صنعة » في مثل تلك الظروف . (راجع مثلًا مقالات العلامة كارمون عنو في العاديّات الشرقيّة) . ومما يمنعنا من اختيار الوجه الاول قوانين الخط الكوفي العامّة فان حرف القاف في هذا القلم لا تكون هيئتهُ العاديّة كصورة الحرف التابع للعين بل يُضاف اليهِ غالبًا شبه العنق يربط بين دائرة الحرف والخطّ السفليّ . وكل ذلك فضلًا عن ان « العقل » لا محلّ لهُ في هذه الكتابة ولو أُورد باسم الصانع « الحكيم ابن سليمان » . ما لم نَقُل ان الناقش عمد الى التفكُّه وهذا من الغرابة بمكان (٢

وتزيد على كل ما تقدّم ان النصّ الذي رُسم قبل تلك الكلمة لا يجيز ايضًا الافتراض بانها « عقل » . لاننا بعد امعان النظر وتدقيق التأمّل وجدنا ان بدء الكتابة كان كما يلي : « بركة الله وحبُّه » (٣ . ولا نجهل ان هذه العبارة لا توافق تمامًا ما يأتي في اغلب الاواني والامتعة العربية فانّ العبارة المصطلح عليها انما هي « بركةٌ من الله » دون زيادة ولا نقصان او اذا زيد عليها شيء فليست الزيادة « حبّ الله » بل « يُمنٌ وسعادة » او ما اشبه ذلك (قابل مثلًا CIA, n° 11 وغيره) . بيد اننا لا نرى سبيلًا آخر الى تفسير افتتاح الكتابة (٤

ولا يستصعبنّ القارئ اللبيب التسليم بوجود الاسم الكريم في كتابتنا هذه فان لكلمة « الله » صور مختلفة في الآثار العربيّة فضلًا عن كتابات الصحف . ولذا لا

---

١) قد نُشر هذا التأليف في المجموع المعروف بـ Mémoires présentés à l'Institut égyptien. - Le Caire 1900 . فمن صميم القلب نحيّ جناب المؤلف الفاضل على جمعهِ في تصنيفهِ النفيس من التفاصيل المفيدة العائدة الى توسيع معرفة صنائع العرب وخواصّ طرائقهم القديمة

٢) من البيّن ان « الحكيم » في هذه الكتابة لَقَبٌ على مثال ما ورد في تصنيف الدكتور فوكاه من اسماء الصنّاع الشاميين « كغَبّي » و « غزال » و « المعلم » و « الشاعر » و « المهندم » وغيرهم . طالع التأليف المذكور في عدّة مواضع لاسيما الصُوَر البديعة الملحقة بهِ

٣) رأينا في الدائرة التي يبتدئ بها السطر الثاني انما بقيّة حرف واو . ومثل هذا يأتي ايضًا في السطر الذي قبل الاخير

٤) قد جرّبنا جميع الاوجه التي تحتملها قراءة كلمة « حبه » وهي عديدة كما لا يخفى مثال ذلك حَبَّ (قطع او لَثَح) وجَثَّ (قلع) وجنَّ (ستر او اظلم على) وحثَّ الشجر (نشرهُ) وخَنَّ (قطع الجزع) الخ فلم نجد وجهًا يُجدي نفعًا . ولذا فضّلنا كلمة حبّ على سواها . واما الحرف الاخير من الكلمة عينها فلا مرية انما هاء الضمير العائد الى الاسم الكريم

نتردَّد في الافتراض بان الالف كانت قد وُضعت فويق التاء المربوطة التي تنتهي بها لفظة « بركة » وان الهاء في الاسم نفسهِ كانت كذلك في موضع اعلى من اسفل اللام الثاني. وإن صحَّ كل ذلك ولا نحسبهُ بعيدًا عن الصواب فالظاهر ان الالف والهاء في اسم « الله » اي حرفيهِ الاول والاخير كانا متوازيَين في العلوّ وانَّ الرسم الذي يتوسَّط بين اللامين يطابق ما هو مشهور في عدَّة كتابات من علامةٍ او زينةٍ لم تأتِ عليها العلماء بالشرح الوافي (قابل مثلًا كتابتنا العربيَّة الاولى في سطرها الاول والثالث والعاشر (المشرق ٣: ٣٣) وصورة الكتابة الثامنة

وكذلك لا تقل ان الكتابة غير كاملة مدَّعيًا انها كانت تحتوي على كلمة « بن » فوق « بركة الله ». فان ذلك مع كونهِ محتملًا على وجه العموم لا نراهُ مناسبًا لهذه الكتابة وظواهر هيئتها. وذلك لسببين: ١ لوجود مكان كافٍ لرسم ذلك حرف الجرّ في السطر الذي رُسم فيهِ باقي العبارة خلافًا لما طرأ في السطر الرابع كما سترى ٢ لان جنس الكتابة وشكل حروفها المرتقيين الى القرن الثالث او الرابع للهجرة لا يحتملان هذا الافتراض. بل الاحرى التسليم بان المكان المتقدم لعبارة « بركة الله » كان قد رُسم عليهِ علامةٌ شبيهةٌ بالعلامات الكائنة في السطر الاخير وهي ليست بحروف عربيَّة محضة كما لا يخفى على اللبيب

فيما ان سياق بحثنا ادَّى بنا الى شرح العلامات المذكورة. فنقول على وجه الاجمال انَّ مثل هذه الرسوم كثير الورود في نوع خاص من كتابات عربية طُبعت على قطع زجاجيَّة وخزفيَّة وحجريَّة. وقد برهن العلامة كازانوفا *Inscript. arab. des poids et mesures en verre* (١ ان معظم تلك القطع كانت تمائم وطلاسم (٢. فالرأي اذًا ان العلامات التي في اسفل كتابتنا ليست سوى رسوم طلسمية لا يُحلُّ رمزها الَّا بعد مقابلة امثال عديدة من هذا الجنس. وعلى كلّ حال فما لا نشكّ فيهِ ان العلامات الموماً اليها قد وضعها الصانع تبركًا وتيمُّنًا. هذا شرحنا للقسم الاكبر من كتابتنا فان لم

١) طالع Bullet. de l'Institut Egypt. 1861, p. 114 seq. ولسوء الحظ ليس عندنا تأليفهُ الكبير الذي استقصى فيهِ البحث عن هذه الكتابات المفيدة وقد اشهر فيهِ صورًا عديدة تساعد على مقابلة آثار مصر بما عثرنا عليهِ في البلاد السوريَّة من الماديات العربية

٢) طالع الجزء الاول من تاريخ ابن خلدون (طبعة مصر ص ٤٢٦-٤٢٦)

يكن مرضياً عند احد قرائنا وكان لديهِ وجهٌ آخر لفكّ المشكل فليوردهُ ولهُ الفضل

بقي علينا البحث عن معنى الكلمتين الاخيرتين في السطرين الرابع والخامس. ولا حاجة الى تكرار القول باننا لسنا نعرض قراءتنا الّا على سبيل التخمين المحتمل فاننا رغماً عن كلّ ما بذلنا من الجهد لم ندرك ما يُشتفى بهِ كاملاً. واول ما يجب ايرادهُ انّ الدائرة المرسومة تحت منتهى السطر الرابع تحسبها تاء مربوطة على ما قد مرّ من قولنا انّ الناقش لم يجد مكاناً كافياً لإلحاق هذا الحرف بباقي الكلمة. فلذا اضطرّ ان يحفرهُ تحت السطر وقريباً منهُ حسب العادة الجارية في مثل هذه الظروف. فاذا ثبت ذلك ولا نظنّ احداً يستغربهُ قلنا ان السطر الاخير يجب ان يُقرأ « وصبر » فيكون مضمون انتهاء الكتابة كما يلي: « بغيرة وصبر ». ومثل هذه العبارة شيء واقر في عاديات العرب (١. وربّ معترض يقول انّ في هيئة الراء في كلا السطرين لنظراً. اجبنا

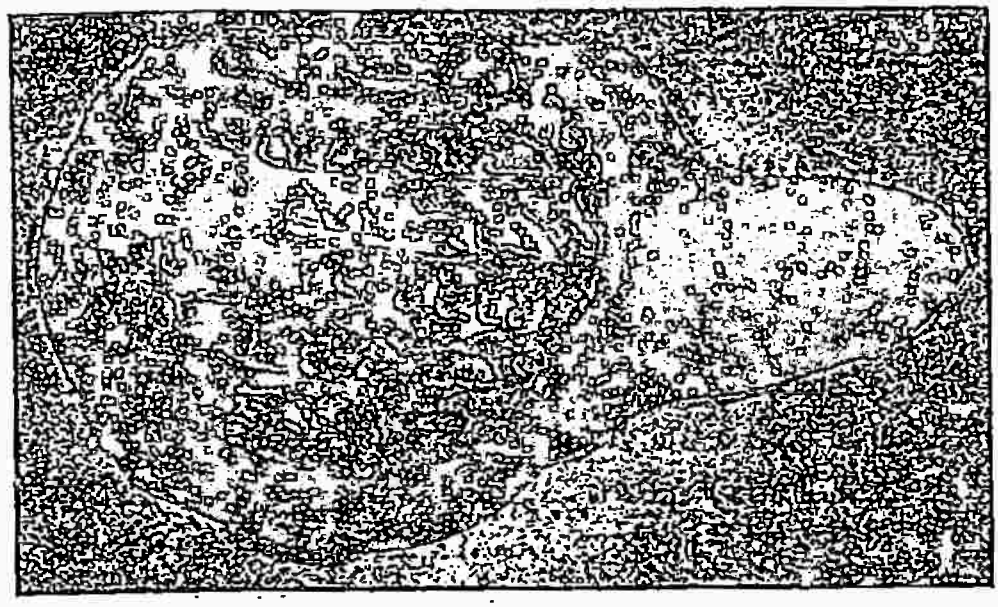

الكتابة العربية العاشرة

١) لا يفوت احداً ما في هذه العبارة من الخلل اذ ان القياس كان يقتضي ان يكتب « عملهُ الحكيم بن سليمان بغيرة وصبر. بيد ان ذلك ليس بمانع عن قبول شرحنا لان كلمة « عمل » وهي موازية لكلمة « صنع » قد كثر الاصطلاح عليها حتى كانت تُرسم دون مفعولها. ما لم يقل احدٌ انّ « عمل » خبر لمبتدإ محذوف اي « هذا عمل الحكيم الخ »

انَّ الشكل بدا لنا ايضاً لاول وهلة الَّا انَّهُ لم يمنعنا من التمسُّك برأينا. فانَّ شكل الراء المذكور واردٌ حقيقةً في كتابات عديدة لاسيما عند نهاية الكلمات مثال ذلك شكل الخط المرسوم في كتابتنا العربيَّة الأولى (المشرق ٣: ٣٣) تجد فيه تلك الهيئة ليس فقط للراء بل ايضاً للنون. ولا يقاومنا ما في نفس هذه الكتابة التاسعة من شكل حرف الراء في لفظة «بركة» لانَّ كلتا الهيئتين شائعة خصوصاً في بلاد سوريَّة في مطاوي القرن الثالث والرابع للهجرة. ولو لم يسلِّم القارئ الفاضل بصحة هذا الرأي فليجرِّب هو نفسهُ وجهاً آخر وليتكرَّم علينا بالخبر

وحاصل الكلام اننا نقرأ الكتابة كما يلي:

١ بركة الله ٢ وجبة: عمل ٣ الحكيم ابن ٤ سليمان. بنيرة ٥ وصبر

وكنَّا نودُّ لو يتسنَّى لنا استيعاب فوائد هذه الكتابة الفريدة في بابها ولاسيما البحث عمَّا يختصّ بزمن رسمها ومذهب صانعها ووطنهِ. غير انَّ في ما مرَّ من التفاصيل كفاية بل فضول نرجو من مشتركينا الافاضل غضّ النظر عمَّا اعتراهم به من الملل والسأمة

علم النجوم على عهد الخلفاء

للاب موريس كولنجت مدرس الطبيعيات في مكتبنا الطبي (تابع لما سبق)

٢ مراصد العرب والاسم الرصديَّة

ألمعنا في مقالتنا السابقة (المشرق ٣: ٦٧٣) الى المراصد التي اقامها العرب في انحاء بلادهم. لكن الفائدة من معرفة وجودها لا تتمّ الَّا بمعرفة شؤون هذه المراصد والآلات التي كان يستخدمها علماء الفلك منهم ليجروا عملياتهم الرصديَّة الدقيقة

(المراصد) واوَّل ما ينبغي ذكرهُ هنا ان مراصد العرب كانت تختلف عن مراصدنا الحاليَّة اختلافاً تامّاً لانَّ هذه لا تقوم الَّا بالنظارات من الزجاج وكانت تلك خاليةً منها. نعم انَّ العدسيَّات المتخذة لتقوية النظر ومعالجة العيون العليلة (lentilles à bésicles) من المخترعات القديمة. لكن تجهيز هذه العدسيَّات للنظارات الفلكيَّة والجمع بينها على طريقة مركزيَّة (système centré) من الاكتشافات القريبة الى عهدنا ولعلّ وجودها لا يرتقي الى ما فوق القرن السابع عشر